

بسم الله الرحمن الرحيم
صور من
({ التغليب }) -

دكتورة : نجاة عبد العظيم الكوفي

تسهيـد :

تميزت لغة العرب بأنها إيجاز ومجاز ، وقد عرفت ظاهرة التغليب في أبواب متفرقة من كتاب النحو العربى وبخاصة فى التثنية والجمع وهما من مظاهر الإيجاز .

وتفيد الأبحاث المقارنة ^(١) أن التثنية أو المثنى وجدت فى اللغات السامية واللغة اليونانية وفى السنسكريتية ، ولها آثار فى اللغات الجرمانية ، لكنها لم تبرز بجلاء ووضوح إلا فى العربية من اللغات السامية ، فالمثنى زال تقريبا من اللغة السريانية ^(٢) ، واقتصر فى النصوص البابلية على أعضاء الجسم المزدوجة ، وفى اللغة العبرية يستعمل فى أعضاء الجسم المزدوجة مثل (يدايم) لليدين ، وفى الأدوات التى تتألف من شقين مثل (رحايم) للرحى . وتبين من الأمثلة أن علامة التثنية فى العبرية يا ، وبم مفتوح مـ قبلها ^(٣) أما العربية فقد اهتمت بالمثنى ، فشاع فيها الخطاب للمفرد بصيغة المثنى للتأكيد والتقرير ، من ذلك قول " امرئ القيس " ^(٤) :

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ . . . يَسْقُطُ اللَّوْى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوَّلِ

فالظاهر من قوله (قفا) أنه يخاطب رفيقين ويحتس أنه أراد (قَفْن) بنون التوكيد الخفيفة فأبدل الألف من النون إجراء للوصل بجرى الوقف . وجوز أنه خاطب رفيقا واحدا جريا على ما لوف العرب أنها تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين ، ويد ذلك واضحا فى قول الشاعر :

إِنْ تَزْجُرَانِي يَا ابْنَ عَنَانَ أَنْزَجِرَ . . . وَإِنْ تَدْعَانِي أَحْمِ عِرْضًا مُنْعَعًا

ومنه قول الحجاج : (يا حَرَمِىْ أَضْرِبْ عُنْقَهُ) ، وهو عند " ابن الحاجب " محمول على معنى تكرير الفعل تأكيداً وتقريراً ، وتأول على ذلك قوله تعالى : (قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) ^(٥) قال : [وأما نحو قوله تعالى (رَبِّ ارْجِعُونِ) على تأويل ارْجِعْنِي ارْجِعْنِي أَرَجَمْنِي ، وقول " الحجاج " : يا حَرَمِىْ أَضْرِبْ عُنْقَهُ أَيْ أَضْرِبْ أَضْرِبْ فَلَيْسَ الْأَوَّلُ بجمع ، والثانى بثنية ، إذ التثنية ضم مفرد إلى مثله فى اللفظ غيره فى المعنى ، والجمع ضم

(١) نفع اللغة المقارن ص ٧٥ (٢) المرجع السابق ص ٧٩

(٣) المرجع السابق (٤) شرح القصائد العشر ص ٤ (٥) المؤمنون ٢٩

مفرد إلى مثليه أو أكثر في اللفظ غيره في المعنى ، وأرجعون وأضربا بمعنى التكرير
والتكرير ضم الشئ إلى مثله في اللفظ مع كونه إياه في المعنى للتأكيد والتقرير ، والغالب
فيما يفيد التأكيد أن يذكر بلفظين فصاعداً ، لكنهم اختصروا في بعض المواضع بإجرائه
مجرى المتن والمجموع^(١)

وفهم من النص أن الحرب كانت تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين أو الجمع لاذلالة
على تكرار الحدث ، ف قوله (قفا) في معنى (قف قف) .
وجعل " القفا " من ذلك قوله تعالى : (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ)^(٢)
قال : [الحرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان فيقولون للرجل : قوماً عنا ، وسمعت
بعضهم : ويحك ارحلها وأزجرها . . . ألا ترى الشعراء أكثر شئ قبيلاً : يا صاحبي
يا خليلي ، فقال " امرؤ القيس " :
خَلِيلِي مَرَّيْ عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ . . . نَقَضَ لَبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمَعْدَبِ
ثم قال :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا . . . وَجَدْتُ بِهَا طَيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطْلُبِ
فقال : ألم تر ، فرجع إلى الواحد ، وأول كلامه اثنان^(٣)

ويؤكد اهتمام الحرب بالتثنية ما سمع في لغتهم من المصادر التي تريد مثناه مثل :
حنانيك ، قال " طرفة بن العبد " :
أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِي بَعْضَنَا . . . حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَى مِنْ بَعْضِ
فثنى (حنانيك) لإرادة التكرير ، لأن التثنية أول مراتب التكرير ، قال " سيوس " :
[وزعم " الخليل " رحمه الله أن معنى التثنية أنه أراد تحننا بعد تحنن]^(٤)
وهذا نظير قولهم : (أضربا) في خطاب الواحد للدلالة على التكرير ، وإن اختلفت
طرائق الأداء .

(١) كتاب الكافية في النحو ١٥ / ١
(٢) ق ٢٤
(٣) معاني القرآن ٣ / ٢٨ ، ٢٩
(٤) الكتاب ١ / ٣٤٨

ونظير (حنائيك) ، (لبيك) بمعنى إجابة بعد إجابة ، كأنه قال : كلمسا أجبتك في أمر فأنا في الأمر الآخر مجيب ، وكان هذه التثنية أشد توكيدا (١)
 (وَصَدَّيْكَ) بمعنى تقربا إليك ومتابعة لأوامرك .
 (وَحَدَّارِكَ) ، أى ليكن منك حذر بعد حذر .
 (وَهَذَا ذَيْكُكَ) ، أى قطعاً بعد قطع .
 وهذه المصادر تكون ملازمة للياء لأنها تنصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره .

وربما كان اهتمام العرب بالمشئ واجما إلى أنه داخل في حيز الجمع فأرادوا تمييز معالنه خشية أن يَقْنُوا بالجمع عن المشئ كما حدث في الضمير (نحن) . وكما تشهد نصوص العربية في قمة بلاغتها حيث يأتي ضمير الجمع عائدا على المشئ نحو (وَدَاوُدَ وَسَلَيمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتِ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لَحَكِيمِهِمْ مَاهِدِينَ) (١) ، أو يأتي الجمع مرادا به المشئ نحو (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمَا) (٢) فجاء لفظ القلوب مجعولا والمراد به المشئ ، موافقا لمنهج العرب ، إذا أرادوا أن يتحدثوا عن الجارحة المفردة من جوارح البدن في شخصين قالوا : قلوبهما ورووسهما لأنهم كرهوا إضافة المشئ إلى المشئ خوفا من الزوائد .

والمشئ في كتب النحو العربي بيد وجميعا وفروعه شئ ، فالمشهور التثنية القياسية ، حيث يكون المعطوف والمعطوف عليه متفقين في اللفظ والمعنى ، ومنها التثنية الوضعية أو المعنوية وتشمل الألفاظ الملحقة بالمشئ ، ومنها التثنية اللفظية حيث يطلق اسم المشئ ويراد به الفرد الواحد مثل (البحرين) (وعمان) (وعمسان) في تسمية البلدان ، وقد يأتي الجمع على هيئة المشئ مثل (قَتَوْنَا) وربما كان مجعلا المفرد والجمع على هيئة التثنية أن المشئ في منزلة بين المنزلتين ، وقد تجمع التثنية بين لفظين مختلفين من باب التغليب ، وقد يكتفى بالمشئ عن شيئين يجامع اشتراكهما في الوصف أو المعنى .

التغليب إذن فرع من التثنية وهو ما يهدف البحث إلى تفصيل الحديث عنه دون ما

(١) الكتاب ١/ ٣٥٠ (٢) الأنبياء ٧٨ (٣) التحريم ٤

إغفال لبقية المسائل التي أُثيرت في بحث المثنى ، وأهم النقاط التي يتناولها البحث هي :

- التغليب : مفهومه وشواهدة .
- المثنى على التغليب في لغة العرب .
- ما ورد على التغليب في القرآن الكريم .
- مجيء المفرد على هيئة المثنى .
- الجمع على هيئة التثنية .
- المثنى المكنى .

أولا :

التغليب : مفهومه وشواهدة :

التثنية في اللغة تكرير الشيء مرتين منه الثَنَى والثَّيْنَان ، وهو الذي يكون بعد السد السد كانه ثانيه - قال الشاعر :

تَرَى ثِنَانًا إِذَا مَا جَاءَ بِدَأْهُمْ . . . وَدَوَّهْمُ إِنْ أَنَا كَانَ ثِنْيَانًا

والثَنَى : الأمر يُعاد مرتين ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يثنى في الصدقة) ،
يعنى لا تؤخذ في السنة مرتين .

والمثنى في الاصلاح ما دل على اثنين وكان اختصارا للمتماطين بمعنى أن كلمة (جَنَّتَان) مثلا في قوله تعالى : (وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)^(١) أغنت عن جنة وجنة ، ولا يجوز العطف في غير ضرورة إلا قصدا للتكثير نحو : أعطيتك ألفا وألفا ، أو لفصل ظاهر نحو : من المسطحات المائية الهامة البحر الأبيض والبحر الأحمر ، أو مقدرا لقول " الحجاج " (إِنَّا لِلَّهِ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ فِي يَمِ) يريد ابنه وأخاه .

والمثنى الحقيقي صالح للتجريد من الزيادة - وهي الألف والنون في حالة الرفع والياء والنون في حالتى النصب والجر - وعطف مثله عليه ، وهذا الحد مخرج للألفاظ الموضوعية للائتين كشفع وزجج ، وملحقات المثنى هي : اثنان واثنان مطلقا ، وكلا وكلتا مضافين إلى مضمرة .

معنى هذا أن المثني الحقيقي يجمع بين طرفين هما المعطوف والمعطوف عليه ،
 والتغليب هو ترجيح أحد طرفي المُغَالَبَةِ على الآخر ، أو إعطاء الشيء حكم غير
 إجرائه للمختلفين مجرى المتفقين . قال " ابن فارس " : [الغين واللام والباء أصل
 صحيح يدل على قوة وقهر وشدة . . . وكانت تَغْلِبُ تُغْلِبُ " الغلباء " ، قال :
 وَأَوْرَثَنِي بَنُو الْغُلَبَاءِ مَجْدًا . . . حديثاً بعد مجدهم القديم
 والمغلب من الصمراء ، المغلوب — رارا ، والمغلب أيضا الذي غلب
 على خصمه [(١)] .

ولما كانت الغلبة دائما للأقوى جنح العرب إلى التغليب في مواضع كثيرة منها :

تغليب المذكر على المؤنث :

مثال ذلك قولهم في باب العدد : [هذا حادى أخذَ عشرَ ، إذا كُنَّ نِسْوة
 معهن رجل ، لأن المذكر يغلب المؤنث ، ومثل ذلك قولهم : خاص خمسة إذا كن أربع
 نسوة فيهن رجل ، كأنك قلت : هو تام خمسة] (٢)

وَيُغْلَبُ الْمَذْكَرُ أَيْضًا فِي تَمْيِيزِ الْعَدَدِ الْمُمِيزِ بِشَيْئَيْنِ فِي التَّرْكِيبِ إِذَا كَانَ الْعَدَدُ
 مِنْ يَعْقُلٍ ، قَالَ " الْأَشْمُونِي " : [حُكِمَ الْعَدَدُ الْمُمِيزُ بِشَيْئَيْنِ فِي التَّرْكِيبِ لِمَذْكَرِهِمَا
 مُطْلَقًا إِنْ وَجَدَ الْعَقْلُ نَحْوَ : عِنْدِي خَمْسَةُ عَشَرَ عَبْدًا وَجَارِيَةً ، وَخَمْسَةُ عَشَرَ جَارِيَةً وَبَيْدًا ،
 وَإِنْ نَقَدَ لِلْمُسَابِقِ بِشَرْطِ الْإِتِّصَالِ نَحْوَ : عِنْدِي خَمْسَةُ عَشَرَ جَمَلًا وَنَاقَةً وَخَمْسَةُ عَشَرَ نَاقَةً وَجَمَلًا
 وَلِلْمُؤَنَّثِ إِنْ فَصَلَ نَحْوَ : عِنْدِي سِتُّ عَشَرَ مَا بَيْنَ نَاقَةٍ وَجَمَلٍ أَوْ مَا بَيْنَ جَمَلٍ وَنَاقَةٍ] (٣)

تغليب الحاضر على الغائب :

من ذلك قوله تعالى : (أَذْهَبَ قَمَنَ تَبِعَكَ يَسْهُمُ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ) (٤) ، نَأْغِيْدُ
 الضمير بلفظ الخطاب ، وإن كان قوله تعالى : (وَنِ تَبِعَكَ) يقتضى الغيبة ، تغليباً
 للمخاطب .

(١) معجم مقاييس اللغة ٣٨٨/٤ (٢) الكتاب ٥٦١/٣

(٣) شرح الأشموني ٧١/٤ (٤) الإسراء ٦٣

ونظيره قوله تعالى : (إِنْ رَّبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَهُوَ
وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْا فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْصِرُوا
مَا تيسَّرَ مِنَ الْقَرَّانِ) (١) فجاء الضمير بلفظ الخطاب (فاقصروا) ، وإن كان قوله
تعالى : (وطائفة من الذين معك) يقتضى الغيبة تغليباً للمخاطب .

تغليب الكثرة على القلة :

قال تعالى فى الخبر عن قيم سيدنا " صالح " : [فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ
رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَغَوَّاهَا] (٢) ، فاستند عقراً الناقة إلى الجماعة ، وإن كان الفاعل واحداً وهو
" قدار بن سالف " تغليبا للكثرة ، ولكونهم راضين عن فعلته .

ويجوز أن يكون إسناد الفعل حقيقياً وليس من باب المجاز ، وأن يكون الحدث قد
صدر من جماعة ، وإنما أفرد (أشقاها) لأن أفعال التفضيل إذا أضيف إلى معرفة جاز
إفراده وإن عني به جمع (٣) ، فإن كان المراد جماعة فلا تغليب .

ومثل ذلك قوله تعالى : (فَنَادَاهُ الْمَلَكَةُ هُوَ تَائِمٌ يَصَلَّى فِى الْحِرَابِ) (٤) ، فجاء
الفعل مستنداً إلى الملائكة تغليبا للكثرة ، وإنما صدر النداء عن " جبريل " من الملائكة ،
ودليل ذلك قراءة " حزة " و " الكسائي " (٥) : (فناداه الملائكة) .

تغليب العاقل على غير العاقل :

ويشهد لذلك قوله تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنِ يَتَشَى عَلَى بَطْنِهِ
وَمِنْهُمْ مَنِ يَتَشَى عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنِ يَتَشَى عَلَى أَرْبَعٍ) (٦) فالمراد بالدابة عموم من
يعقل وما لا يعقل ، وقال تعالى عند التفرع (فمنهم) تغليبا للعاقل .

وقال تعالى حكاية عن السماء والأرض : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ
لَهَا وَالْأَرْضِ انثَبِي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) (٧)

(١) المزمل ٢٠ (٢) الشمس ١٤ (٣) البحر المحيط ٨/٤٨١

(٤) آل عمران ٣٩ (٥) حجة القراءات ١٦٢ (٦) النور ٤٥ (٧) فصلت ١١

قال " الزركشى " : [إنما جمعها جمع الصلابة ولم يقل طائعين ولا طائعات ، لأنه أراد اثتيا بمن فيكون من الخلاق طائعين ، فخرجت الحال على لفظ الجمع ، وغلّب من يعقل من المذكور]^(١) .

وغلّب العاقل مراعاة لحكم الوصف كما في قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف : (يا أبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي مَاجِدِينَ)^(٢) ، قال : " أبوحيان " : [جمعهم جمع من يعقل لصدور السجود له وهو صفة من يعقل]^(٣) .

تغليب المؤنث على المذكر :

تغليب المؤنث على المذكر قليل ولا يكون إلا في غير العاقل ، وغلّب المؤنث رغبة للتخفيف في قولهم : ضَبَّعَان - بفتح ضم - في ثنية ضبع للمؤنث وضَبَّعَان بكسر فسكون للمذكر ، ولم يثنوا المذكر فرارا من الزوائد .

وغلّب المؤنث في نحو قولهم : كتبته لثلاث بين يمين وليلة ، وضابطه أن يكون العدد مميّزا بمذكر ومؤنث كلاهما مما لا يسقط وفصلا من العدد .^(٤)

وقد جاء تغليب المؤنث في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَقَّعُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَقْرَبَصْنَ أَنْفُسَهُنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)^(٥) ، والمراد عشرة أيام بلياليها ، لكن أنث الممدد تغليبا لليالي لسبقها .

تغليب الاسم على الفعل :

اختلفت أقوال النحاة في (حَبَّذا) و (لا حَبَّذا) التي تجرى مجرى نعم وشئ في إنشاء المدح والذم .

فالمشهور فيهما أن (حب) فعل ماض ، و (ذا) في موضع رفع فاعل ، ولا يكون

(١) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٣٠٥ ، ٣٠٦ (٢) يوسف ٤

(٣) البحر المحيط ٥/ ٢٨٠ (٤) الصبان ١/ ٧٥ (٥) البقرة ٢٣٤

إلا مفردا مذكرا (١) بينما يأتي المخصص بالمدح أو الذم بعده مفردا ومثنى ومجموعا، مذكرا ومؤنثا نحو : (حبذا المروءة) (حبذا ركعتا الفجر) (حبذا المقيمون الصلاة) (حبذا الصنفات في سبيل الله) .

ومن النحاة من ذهب إلى أن مركبة " وهؤلاء " اختلفوا على رأيين :
فذهب " الخليل " و " سيويه " و " الجرد " وغيرهم أن (حبذا) صارت بعد التركيب اسما في موضع رفع على الابتداء ، وما بعده خبر ، قال " سيويه " : [ويسم الخليل رحمه الله أن حبذا بمنزلة حسب الشيء ، ولكن هذا وحب بمنزلة كلمة واحدة نحو لولا ، وهو اسم مرفوع ... ألا ترى أنك تقول للسؤث حبذا ولا تقول حَبِّدْ ، لأنه صار مع (حسب) على ما ذكرت له ، وصار المذكر هو اللان لأنه كالمثل] (٢)

ومعنى هذا أن (حبذا) عندما صارت في الحكم كلمة واحدة ، عند القائلين بأنها مركبة ، غلب بعضهم جانب الاسمية لشرف الاسم فصار الجميع اسما (٣) ، وعلى " ابن عيسى " لذلك بقوله : [غلب جانب الاسم لقوته وضعف الفعل ، واستدلوا على اسميته بكثرة ندائه نحو قولهم : يا حَبِّدَا ، قال الشاعر :

يا حَبِّدَا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَسٍ ... وَحَبِّدَا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَا] (٤)

ومنهم من غلب جانب الفعل لتقدمه ، وجعل (حبذا) بعد التركيب فعلا ، والمرفوع بعدها هو الفاعل .

ورد الصبان (٥) على هذا الرأي بأنه يلزم عليه تغليب أضعف الجزأين ، وسأن تركيب فعل من اسم وفعل لا نظير له .

واستدلوا على غلبة الفعل بقولهم : لا يُحَبِّدُ بما لا ينفعه . ورجع " ابن عيسى " تغليب الاسم على الفعل قال : [والأول أش ، وقولهم : لا يحبذه لأنهم اشتقوا فعلا من لفظ الجملة كقولهم : حَمْدَلٌ في حكاية (الحمد لله) .

(١) شرح الفصل ١٤١/٧ (٢) الكتاب ١٨٠/٢ (٣) معجم الواع ٨٨/٢

(٤) شرح الفصل ١٤٠/٧ (٥) حاشية الصبان ٤٠/٣

فهذان وجهان عربيان . . . ومنهم من لا يغلب أحدهما على الآخر ويجريهما على ظاهرهما وهو المذهب المشهور (١)

ثانياً - المثنى على التغليب في لغة العرب :

المثنى على التغليب يعرب كما يعرب المثنى الحقيقي وإن خالفه في بعض أحكامه، يقول "سيبويه" [أعلم أنك إذا ثبت الواحد لحقته زادتان ، الأولى منهما حرف المد واللين ، وهو حرف الإعراب غير متحرك ولا منون ، يكون في الرفع ألفا . . . ويكون في الجر ياء مفتوحة ما قبلها . . . ويكون في النصب كذلك . . .

وتكون الزيادة الثانية نونا لأنها عوض لما منع من الحركة والتنوين وهي النون وحركتها الكسر (٢).

و "بنو أحمد" يفتحون نون المثنى ، قال "ابن خالويه" في حديثه عن التثنية : [ومنها تثنية جاءت نونها مفتوحة ، مرت بالزئدين ، أنشد "الفرأ" : عَلَى أَحْوَذِيَّتَيْنِ اسْتَقَلَّتْ عَشِيَّةٌ . . . وَمَا عِى إِلَّا لَحْمَةٌ وَتَغْيِيبٌ] (٣)
ومن العرب من يلزم المثنى الألف في الرفع والنصب والجر ، يقولون : (جلست بين يداء) ، قال الشاعر :

إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا . . . قَدْ بَلَغَا فِي السَّجْدِ غَايَتَاهَا

(١) شرح الفصل ١٤١/٧ (٢) الكتاب ١٧/١ ١٨

(٣) ليس في كلام العرب ٣٣٤ ، ٣٣٥

والمختار عند "أبي حيان" في تخریج قراءة : (إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَان) ^(١) ، أنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء الثنى بالآلف دائما ^(٢) .

ويؤكد الدكتور "إبراهيم السامرائي" أن مائر اللغات السامية - ما عدا العربية - لم تخصص الآلف والنون، أو الياء والنون بحالة إعرابية خاصة كما هو الحال في العربية ^(٣) .

ويوضح أن يكون إلزام الثنى للآلف أملا في الكلام لا علاقة له بحال من أحوال الإعراب ^(٤) ، وهو يمثل لغة قسم كبير من العرب ، وأن تكون الياء والنون غلبة في الثنية ، لغة أيضا تمثل قبائل معينة ، وجهات معينة ، وليس ببعيد عنه أن يكون إلزام الثنى للآلف هو الأصل ، وأن تكون الياء في الثنية سائدة من مائل الإمالة ، والإمالة من صفات اللهجات المحلية قديما وحديثا ^(٥) ، من ذلك قولهم : (عيشة) في (عائشة) ، ولعل هذا يفسر إلزام الثنى لاليا في اللهجة المصرية الحديثة .

ويفسر الدكتور السامرائي " مجىء الثنى بالآلف والياء في الصحى بقوله : [نستطيع أن نقرر أن الثنى بالياء لغة جماعة من الناس ... ثم لما أن درجت العربية في طريقها التطوري وأن لها أن تتسجم في لغة القرآن والحديث اغتنى الاستعمال الثنى بالآلف لحال الرفع ، والثنى بالياء لحال النصب والجر] ^(٦) .

والثنية وإن كانت قياسية فليس يلزم أن يكون الفرد قابلا للثنية ، روى عن " ثعلب " و " انبرد " أن الواحد ليس له ثنية . ولا للثنين واحد من جنسه ^(٧) . وقيل (اليم) لا يثنى ولا يكسر ولا يجمع جمع السدنة ^(٨) .

(١) طه ٦٢ (٧) البحر المحيط ٢٥٥/٦ (٣) فقه اللغة المقارن ٨٤

(٤) المرجع السابق ٨٦ (٥) فقه اللغة المقارن ٨٢ (٦) فقه اللغة المقارن ٨٩

(٧) المزهر في علوم اللغة ١٣١/٢ (٨) لسان العرب مادة (ييم)

ويشترط في المفرد المراد تثنيته أن يكون مفردا ، قيل : [فلا يثنى المركب تركيبا إسناديا باتفاق ، ولا مزجيا على الأصح ٠٠٠ وأما العلم الإضافي فإنما يثنى جزؤه الأول على الصحيح] (١)

- أن يكون نكرة ، فلا يثنى العلم باقيا على علميته ، بل ينكر ثم يثنى ، ولهذا لا يثنى كتابات الأعلام كهلان وفلانة لأنها لا تقبل التكثير ، قال "سيويه" : [وأما قولهم : أعطيتكم سنة العشرين فإنما أدخلت الألف واللام على (عشرين) وهما نكرة ، فصارا معرفة بالألف واللام ، كما صار (الصق) معرفة بهما ٠٠ فكأنهما جعلتا من أمة كل واحد منهما (عمر) ، ثم عرّفا بالألف واللام فصارا بمنزلة الغريبتين المشهورتين بالكوفة] (٢)

- أن يكون مفعليا ، أما (اللدان) و (اللدان) فليسا بمثنيين ، وإنما استعمالا على هيئة المثنى ، وكذا مؤنثهما ، لأنهما لا يقبلان التكثير ، وأن ذا وتا والمذى والتى إذا ثبتت حذف منها الياء والألف فخالفت ما سواها من الأسماء المتكئة .

- ألا يستغنى عن تثنيته بتثنية غيره ، فذ يثنى (سواء) لأنهم استغنوا عن تثنيته بتثنية (يى) ، فقالوا (ييان) ، ولا يثنى (بعض) ، استغناء عن تثنيته بتثنية (جزء) ولا يثنى (أجمع) و (جمعا) لأنهم استغنوا به (كلا) و (كلتا) كونه من ملحقات المثنى .

- وشرط المتعاطفين أن يتفقا في اللفظ والوزن والمعنى ، فلا يقال : جيلان في تثنية سهل وجبل لعدم الاتفاق في اللفظ ، ولا الجملان - بكسر وسكون - في جمل وجمل

(١) حاشية الصبان ٧٦/١

(٢) الكتاب ١٠٤/٢ ، وقيل : الغريبان بناءان طويلان يقال هما قبر مالك وعقيل نديمي جذية الأبرش وسما الغريبين لأن النعمان كان يُغريهما بدم من يقتله في يوم بومه ، وقد أسهب ياقوت في قصة بناء الغريبين وهما بظاهر الكوفة قرب قبر "علي" رضي الله عنه - معجم البلدان ١٩٦/٤ .

لعدم الاتفاق في الوزن ولا العيان في الباصرة والجارية لعدم الاتفاق في المعنى .
أما قوله تعالى : (وما يَسْتَوِى الْبَحْرَانِ) (١) في ثنية البحر والنهر فمن قبيل التغليب .

والمراد بالتغليب في باب الثنية ترجيح لفظ أحد المتعاطفين على الآخر
إجراءً للمختلفين مجرى المتفقين لتناسب بينهما أو اختلاط ، كتغليب المذكر على المؤنث
في الأبوين والوالدين والقمرين ، وتغليب المؤنث على المذكر إيثارة للخفة مثل : المروتين
في ثنية الصفا والمروة .

والثنية الحقيقية قياسية ، أما التغليب فبابه السماع ، قيل : (والخير أن يكون
التغليب قياساً عند وجود قرينة تدل على المراد بغير لبس) (٢)
وقد سمعت ثنية الأعلام وصفاتهم على التغليب في قولهم :

المُـرَّان : في ثنية أبي بكر وعمر ، رضى الله عنهما — حيث غلب الأخف على الأثقل ،
لأن لفظ " عمر " مفرد ، ولفظ أبي بكر " مركب " (٣)

وتختلف كتب اللغة في المراد بالمعمرين .

فقيل : هما " عمر بن الخطاب " و " عمر بن عبد العزيز " ، وعليه فلا تغليب ، ورد على ذلك
بأنهم نطقوا بالمعمرين قبل أن يعرفوا " عمر بن عبد العزيز " فقالوا " يوم الجمل " " لعلى
ابن أبي طالب " : (سُنَّةُ الْمُـرَّانِ) (٤)

وقد يُراد بالمعمرين في غير هذا المقام " عمر بن الخطاب " و " عمرو بن هشام " ،
لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (اللَّهُمَّ أعز الإسلام بأحب المعمرين إليك) .

وقد جاء اللفظ مراداً به غير ما تقدم في قول الشاعر (٥)

إذا اجتمع المُـرَّانِ عمرو بنُ جَابر وذُرَّ بنُ عمرو خِلْتُ دُبَّيَّانَ تَبَعَسَا

(١) فاطر ١٢ (٢) النحوى الوانى ١١٨/١ هامش ٦

(٣) البرهان في علوم القرآن ٣١٣/٣

(٥) المزهر في علوم اللغة ١٢١/٢ باب ذكر المثنى على التغليب .

وَالْمُضَعَّبَانِ (١) "مصعب بن الزبير" وابنه عيسى وأخوه عبدالله .

وَالْخُبَيْيَانِ (٢) أبو خبيب عبدالله بن الزبير وابنه وأخوه مصعب .

وَالْقَارِظَانِ (٣) رجلان من عنزة خرجا في التماس القرظ فلم يرجعا .
ومن أسماء غير الناس :

الْأَذَانَانِ : الأذان والإقامة ، والعشاءان : المغرب والعشاء ، وَرَجَبَانِ : رجب وشعبان ، قال "ابن فارس" : [الراء والجيم والباء] أصل يدل على دعم شئ بشئ وتقويه ، من ذلك الترجيب ، وهو أن تدعم الشجرة إذا كثر حملها ، لكلا تنكسر أغصانها ...

ومن هذا الباب : رَجَبْتُ الشَّيْءَ ، أى عَظَّمْتُهُ ... ومن الباب رَجَبٌ ، لأنهم كانوا يعظمونه ، وقد عظمته الشريعة أيضا ، فإذا ضُومُوا إليه شعبان قالوا رَجَبَانِ (٤)

وَالْقَمَرَانِ : الشمس والقمر ، ويرى عن "المفضل" في تفسير هذه التثنية حكاية طريفة مضمونها أن "الرشيد" أرسل في طلبه وعنده "الكسائي" ليسأله عن قول الله تعالى : (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ) ، فلما أحسن الجواب التفت إليه "الرشيد" وقال : يا "مفضل" عندك مسألة تسأل عنها ؟ ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قول "الفردق" :
أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ
لَنَّا قَمَرَاهَا وَالنَّجْمُ الطَّوَالِيعُ

فكان الجواب عليه : لنا قمرها يعنى الشمس والقمر ، كما قالوا : (سنة العمرين) يريدون "أبا بكر" و"عمر" ، قال "المفضل" : فليمتحنوا هذا ؟ قيل : لأنه إذا اجتمع اسمان من جنس واحد ، وكان أحدهما أخف على أفواه القائلين غلبوه فسموا الآخر باسمه ، فلما كانت أيام "عمر" أكثر من أيام "أبي بكر" رضى الله عنهما ، فتوجه أكثر غلبوه وسموا "أبا بكر" باسمه .

قال "المفضل" : قد بقيت مسألة أخرى ، فالتفت إليه "الكسائي" وقال : أفيى هذا غير ما قلت ؟

(١) القاموس المحيط (فصل الصاد باب الباء)

(٢) " " " " " " (فصل الخاء باب الباء)

(٣) المزهري في علم اللغة ١٢٤/٢

(٤) معجم مقاييس اللغة ٤٩٥/٢ باب الراء والجيم وما يثلثهما .

فأجاب ، بغيت الفائدة التي أجراها الشاعر المختبر في شعره ، فقد أراد بالشس " إبراهيم " صلى الله عليه وسلم خليل الرحمن والقمر " محمدا " صلى الله عليه وسلم ، والنجوم الخلفاء الراشدين ^(١) .

ثالثا - ما ورد على التغليب في القرآن الكريم :

التغليب ورد في القرآن الكريم في عدة ألفاظ أذكر منها :
- (الشرقيين) في ثنية الشرق والمغرب ، واللفظ ورد في القرآن الكريم في موضعين قال تعالى :

(يَا لَيْتَ بَنِيَّ وَبَيْنَكَ بَعْدَ الشَّرْقَيْنِ) ^(٢) ، (رَبُّ الشَّرْقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) ^(٣) .

ذكر الفراء ^(٤) أن المراد بالشرقيين في سورة الرحمن مشرق الشتاء ومشرق الصيف ، وكذلك المغريان فلا تغليب ، ويرجح هذا اقتران اللفظين ، وقال في الآية الأولى :
[يريد ما بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف ، ويقال : إنه أراد الشرق والمغرب : فقال الشرقيين ، وهو أشبه الوجهين بالصواب لأن العرب قد تجمع الاسمين على تسمية أشهرهما ، فيقال : قد جاءك الزهدمان ^(٥) ، وإنما أحدهما زهدم ، قال الشاعر :
أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّاءِ عَلَيْكُمْ . . . لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِيعُ
يريد الشمس والقمر ^(٦) .

ويستناد من كلام الفراء أن (الشرقيين) حيث أفرد فتثنيته تغليب ، وإذا اقتصرن بالمغربين فتثنيته حقيقة .

- وثنية الأبوين للأب والأم غالبا ، والوالدين للوالد والوالدة تغليب ، والفرق بينهما أن الوالد لا يطلق إلا على من ولد له الولد من غير واسطة فلا يراد به الجد أو العم بَعْدَ أَوْ قُرْبَ ، وكذا الوالدة ، وأما الأب فقد يطلق على الجد كما تطلق الأم مجازا على الجدة أو الخالة .

(١) المزهر في علوم اللغة ١٢٥/٢ (٢) الزخرف ٣٨ (٣) الرحمن ١٧

(٤) معاني القرآن ١١٥/٣

(٥) الزهدمان : أخوان من بني عيسى هما زهدم وقيس (٦) معاني القرآن ٣٣/٣

- ولفظ الوالدين ورد في القرآن الكريم في عشرة مواضع ، منها خمسة في سورة النساء ، وثلاثة في سورة البقرة ،^(١) والتامع والعاشر في سورتي الأنعام^(٢) والإسراء ، قال تعالى :
- (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)^(٣)
- (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ)^(٤)

ويضح من الآيات أن لفظ الوالدين ورد في أحكام الميراث وفي الإيصاء بالإحسان إليهما .

- وجاء لفظ الأبوين في سبعة مواضع ، مراداً به الوالدان في قوله تعالى : (وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِلنِّسَاءِ الثُّلُثُ)^(٥)
- (وَأَمَّا الْعَلَامَ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ)^(٦)

وجاء اللفظ مراداً به الأب والخالة في قوله تعالى :

- (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ)^(٧)
- (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْمَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ مُجْدِّدًا)^(٨)

وقيل : المراد بالأبوين في الآيتين أبوه وجدته أم أمه^(٩) .

- وأريد باللفظ آدم وحواء في قوله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ)^(١٠)

وجاء اللفظ مرة واحدة في ثنائية لفظ (أب) مراداً به الجد ، قال تعالى :

- (وَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلٍ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ)^(١١)

(١) الآيات ٨٣ ، ١٨٠ ، ٢١٥ (٢) الأنعام ١٥١ (٣) الإسراء ٢٣
(٤) النساء ٧ وتكرر اللفظ في الآيات ٢٢ ، ٢٦ ، ١٢٥ (٥) النساء ١١
(٦) الكهف ٨ (٧) يوسف ٩٩ (٨) يوسف ١٠٠
(٩) البحر المحيط ٢٤٧/٥ (١٠) الأعراف ٢٧ (١١) يوسف ١٦

وقولهم : (البحرين) فى ثنية بحر ونهر تغليب ، وقد ورد اللفظ فى القرآن الكريم
فى خمسة مواضع ، قال تعالى :

- (وما يَسْتَوِى الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ مَّائِغٌ شَرَابُهُ وَمَذَا يُلْحُ أَجَاجٌ) (١)
- (وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ وَمَذَا يُلْحُ أَجَاجٌ) (٢)

نقوله تعالى : هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج قرينة لفظية دالة على أن الثنية
فى الآيتين من باب التغليب .

وقال " المزجاج " : [فهما مختلطان فى مواضع العين منفصلان بقدرة الله ، وسواد
البصرة ينحدر الماء العذب منه فى دجلة نحو البحر ، ويأتى المد من البحر فيلتقيان من
غير اختلاط فماء البحر إلى الخضرة الشديدة ، وماء دجلة إلى الحُمرة ، ونيل مصر فى
فيضه يشق البحر المالح شقا بحيث يمتلئ نهرا جاريا أحمر فى وسط المالح] (٣)

- وقد تكون ثنية (البحرين) فى المواضع الباقية حقيقية ، قال تعالى :
- (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) (٤)
- (وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَّ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) (٥)
- (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) (٦)

فهذه الآيات قد خَلَّتْ من القرينة المرجحة للتغليب وهى الإشارة إلى المتعاطفين
بهذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ، والملح الأججاج هو ما كان مع ملحوته مرا (٧)

ويرجح كون الثنية حقيقية قوله تعالى فى سورة الرحمن (يَخْرُجُ مِنْهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) ،
والمرجان إنما يخرج من الملح دون العذب فيكون الإخبار فى الآية الكريمة عن بحرين مالحين .

وقد اختلفت أقوال المفسرين فى المراد بالبحرين فى هذه الآيات فمئذ " الفراء "
أن المراد بجميع البحرين فى آية الكهف بحر فاوس والروم (٨) وعند " أبى حيان " أن المراد
بالبحرين فى آتى النمل والرحمن العذب والملح (٩)

(١) فاطر ١٢ (٢) الفرقان ٥٣ (٣) البحر المحيط ١/٦ ، ٥٠٦ ، ٥٠٢

(٤) الكهف ٦٠ (٥) النمل ٦١ (٦) الرحمن ١٩ ، ٢٠

(٧) فقه اللغة وأسرار العربية ٤٣٠ (٨) معانى القرآن ١٥٤/٢ (٩) البحر المحيط ٨٩/٢

وتحت عنوان (من آيات الإعجاز الإلهي) : نشرت اللواء الإسلامي ^(١) عن قوله تعالى : (مرج البحرين يلتقيان) • ويغيد جواهر الحديث أن الله سبحانه وتعالى قد سخر أعداء الدين للكشف عن آيات الإعجاز الإلهي في القرآن الكريم ، حيث اضطلع مجموعة من علماء البحار الأمريكيين بالبحث في البحار الملحة عن الحد الفاصل بين البحرين اللذين يلتقيان في مكان واحد وجاءت إحدى سفن الأبحاث البحرية إلى باب المنسذب واكتشف علماء السفينة وجود حد فاصل بين مياه البحر الأحمر والبحر العيسى (خليج عدن) ، وتأكد لديهم أن هذه المياه وإن بدت متجانسة إلا أنها تختلف في الكثافة والملوحة والأحياء المائية ، مما جعل البحار تحافظ على خصائصها رغم الأمواج والرياح وقوة المد والجزر •

وخلاصة القول أن التغليب في ثنائية (البحرين) في القرآن الكريم إنما يكون فسي مواضع آمن اللبس - والله أعلم •

رابعاً : مجيء المفرد على هيئة المثنى :

جاء الاستعمال قديماً وحديثاً على تسميته فرد أو بلد باسم لفظة مثنى ومعناه مفرد ويكون ملازماً للألف أو الياء فمن أسماء البلدان : (عمان) ، يفتح العين وتشديد اليم ، قيل : هي مدينة قديمة بالشام من أرض البلقان ^(٢)

قال " ياقوت " : [يجوز أن يكون قملان من عمّ يعمّ فلا ينصرف معرفة وينصرف نكرة ويجوز أن يكون قملان من عيين فينصرف في الحالتين إذا عني به البلد] ^(٣)

وعُمان بالضم والتخفيف موضع عند البحرين ، واشتقاقها ، من العميمة وهي أرض سهلية يمانية ^(٤) ، يقال : عيين يعمن من باب (فرج وضرب) بمعنى أقام ، وهو ينصرف نكرة مراداً به المكان ، ولا ينصرف معرفة مراداً به البلدة •

(١) العدد ٢١٩ الخميس ٢٣ رجب ١٤٠٦ هـ الموافق ٣ من أبريل ١٩٨٦

(٢) لسان العرب مادة (عمن) (٣) معجم البلدان ١٥١/٤

(٤) لسان العرب مادة (عمن)

(المعلمين) و (البحرين) ، وقد شاع استعماله ملازماً للياء معرباً بالحركات الظاهرة
فيقال : هذه البحرينُ ، وانهينا إلى البحرينِ ، قال " ياقوت " : [البحرين هكذا
يتلفظ به في حال الرفع والنصب والجر ، ولم يسمع على لفظ المرفوع من أحد منهم إلا أن
" الزمخشري " قد حكى أنه بلفظ التثنية ، فيقولون : هذه البحيرانِ وانهينا إلى
البحيرين] (١)

ومن أسماء الأشخاص :

نعمان وحسين ، ما سمع ملازماً للألف أو الياء ، ويرى الأستاذ " عباس حسن " (٢) ،
أن المفرد من الناس يسمى بلفظ المثنى بقصد بلاغ كالمدح أو الذم أو التلحيم مثل
حمدان ثنية حمد ، ودَّاران ثنية بدر ، وسروان ، ثنية مرو ، وهى الحجارة البيضاء
الصلبة ، وشعبان ثنية شعب وجبران ثنية جبر ، ومثل : محمد بن وحسين .

خامساً : الجمع على هيئة المثنى :

قال ابن خالويه : [ليس في كلام العرب : ثنية تشبه الجمع إلا ثلاثة أسماء
وأنا يفرق بينهما بكسرة وضمة ، وهن الصنوّ ، والقنوّ ، والرئد - المثل . والثنية :
صنوان وقنوان ورئدان وهذا نادر مليح] (٣)

والمراد في هذا المقام جمع التكسير ، وهو ما دل على أكثر من اثنين بتغيير صورة
المفرد إما بالشكل وإما بالزيادة أو النقص ، وقد يجتمع في اللفظ أكثر من تغيير مثل : رسل
في جمع رسول ، وأعلام في جمع علم .

وقد يأتي الجمع على هيئة المفرد كذلك بضم وسكون للمفرد ، قال تعالى : خطابها
لنوح عليه السلام :

(نَادَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الصَّدُوقُ لِلَّهِ) (٤)

(وَتَرَى الْفُلَّ فِيهِ مَوَازِيرَ لِيَتَبَفَّوْا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٥)

(١) معجم البلدان ١ / البحرين (٢) النحو الوافي ١٢٦ / ١

(٣) ليس لابن خالويه ١٥٩ (٤) المؤمنون ٢٨ (٥) طاهر ١٢

وقد يأتي الجمع على هيئة المثنى مثل (صِنَوَان) جمع صنوب بكر فمكون نيهما ، قال تعالى : (وَفِي الْأَرْضِ قُطْعٌ مَّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَّضْلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) (١) .

والصنو : المثل ، والفرع يجمعه وآخر أصل واحد ، وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد ، وقد يقال لسائر الشجر إذا تشابه : شجر صنوان أى من أصل واحد ، ومنه قيل للعم صنو ، وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : (عم الرجل صنو أبيه) ، وقال الشاعر (٢) :

أَتَتْرُكُنِي وَأَنْتَ أَخِيَّ صِنُوِي ٠٠٠ فَيَا لِلنَّاسِ لِلْأَمْرِ الْعَجِيبِ

والمشهور في المفرد كسر الصاد ، وحكى الزجاجي " فيه صنوب بالضم (٣) ، وصنوب بالفتح المعهود الخسيس بين الجبلين أو الماء القليل بينهما والجمع صنو على وزن (فُعُول) ، وربما كان منه قول الأخيلية .

أَنَا بَيْعٌ لَمْ تَنْبَيْغْ وَلَمْ تَكْ أَوَّلَا ٠٠٠ وَكُنْتُ صُنِيًّا بَيْنَ صَدَّيْنِ مُجَهَّلَا

والصنوي : تصغير صنو وهو سيل الماء بين جبلين ، ومنه يقال : ركبتان صنوان بمعنى متجاورتان أو تنبعان من عين واحدة .

وكسر الصاد في الجمع (صِنَوَان) هولفة الحجاز ، وقيس وتميم تضم الصاد مثل ذئب وذئبان ، ويقال فيه صِنَوَان بالفتح وهو اسم جمع لا جمع تكسير لأنه ليس ممن أبينته (٤) .

وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص (وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) بالرفع في الجميع على مراعاة القطع ، وقرأ باقي السبعة (٥) بخفض الأربعة على مراعاة (من أعناب) ، فمن رفع جعل الجنة من الأعناب ، ومن خفض فالجنان من مجموع ذلك .

(١) الرعد ٤ (٢) أساس البلاغة مادة (صنو)

(٣) لسان العرب مادة (صنو) (٤) البحر المحيط ٣٦٢/٥

(٥) البحر المحيط ٣٦٢/٥

وقال الفراء : [صَنَوَانٌ وَفِرْ صَنَوَانٌ] الرفع فيه سهل لأنه تفسير لحال النخل والقراءة بالخضى ولو كان رفعاً كان صَوَايَا (١).

(٢) وقرأ الجمهور (صَنَوَانٌ) بكسر الصاد ، وزيد بن علي بضمها ، والحسن وقتاده يفتحها . ولا يكون الجمع ملتبساً بالمتنى إلا إذا تجانست حركة الصاد (فاء الكلمة) في المفرد والجمع ، لأن ثنية (صَنَوٌ) بكسر الصاد (صَنَوَانٌ) ، وقد أمن العرب هذا اللبس عن طريق الإعراب ، فالمثنى المرفوع يقال فيه صَنَوَانٌ بكسر النون في النصحي ، وفي لغة من يلزمونه الألف وأما النون في الجمع فتظهر عليها علامات الإعراب الأصلية ، وقد قرئ : اللفظ في الآية بالرفع والجبر ولم تتغير الألف لأنها حادثة في صيغة الجمع وليست علامة للإعراب ، بخلاف ألف المتنى فإنها تقلب في النصب والجرياء ، إلا في لغة بلحارث بن كعب . كذلك قيل إن الكسرة في صَنَوٌ غير الكسرة في (صَنَوَانٌ) لأنها في المفرد وضعية وفي الجمع حادثة للجمع (٣) ، أما الكسرة في المتنى فهي كسرة المفرد وليست حادثة .

ونظير (صَنَوَانٌ) في القرآن الكريم لفظ (قَنَوَانٌ) قال تعالى : (مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلَيْهِمَا قَنَوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ) (٤).

وَالْقِنْوُ بكسر وسكون : العذوق ، وقيل : العذوق بما فيه من الرطب ، وَالْقِنَاءُ مقصور مثل الْقِنْو ، وَالْقِنَاءُ بالفتح لغة فيه ، والجمع من كل ذلك أَقْنَاءٌ لِلْقِنَاءِ وَقِنَوَانٌ وَقِنْيَانٌ للكسرة ، قلبت الواو ياءً لقرب الكسرة ولم يعتد الساكن حاجزاً (٥) ، ومنه قيل : قَنَاءُ الْمَالِ يَقْنُوهُ قَنِيَانًا وَقِنْيَانًا وَقِنَوَانًا . وقد ورد بالياء في قول الخنساء (٦) :

لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ مَالٌ كَانَ مُتَلَدَّةً . . . لَكَانَ لِلدَّهْرِ صَخْرٌ مَالٌ قُنْيَانٌ

وذكر الفراء أن أهل الحجاز يقولون : قِنَوَانٌ بكسر القاف ، وقيس (قَنَوَانٌ) بالضم وتميم قنِيَانٌ ، ويجتمعون فيقولين قَنَوُ وَقْنُو بِالْوَاوِ وَلَا يَقُولُونَ قَنِيً بِالْيَاءِ (٧).

وقرأ الجمهور (قَنَوَانٌ) بكسر القاف . . . وقرئ بضمها ورواه السلي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . . . وقرئ عن أبي عمرو (قَنَوَانٌ) بفتح القاف على أنه اسم جمع على قَمْلَانٍ (٨).

(١) معاني القرآن ٥٨/٢ (٢) البحر المحيط ٢٦٣/٥ مع التيسير للداني .
(٣) لسان العرب مادة (قَنَوُ) (٤) الأنعام ٩٩ (٥) لسان العرب مادة (قَنَوُ)
(٦) أساس البلاغة مادة (قَنَوُ) (٧) لسان العرب مادة (قَنَوُ) (٨) البحر المحيط ١٨٩/٤

وقال الفراء : [وقوله : (من النخل من طلعمها قنوان ٠٠٠) الوجه الرفع فـسى القنوان لأن المعنى : ومن النخل قنوانه دانية ، ولو نصب : وأخرج من النخل — من طلعمها قنوانا لجاز في الكلام ولا يقرأ به لكان الكتاب ^(١)] ، والرفع عن ابن الأنباري على تقدير : استقر من النخل ، ومن طلعمها بدل منه قال : [وقنوان مرفوع بقوله : (من طلعمها) على قول من أعمل الثاني ٠٠٠ وهو مذهب البصريين ، وقوله (من النخل) على قول من أعمل الأول وهو مذهب الكوفيين] ^(٢) .

ولا يجمع على (فعْلان) بكسر الفاء ضمها إلا الثلاثي المجرد ، ولا يكون الجمع ملتبها بالمثنى إلا إذا كانت حركة الفاء في المفرد والجمع متجانسة . وأما (فعْلان) بالكسر ، فيكون جمعا في الثلاثي المستعمل على وزن فعْل مثل (صُنُو) و (قُنُو) ، والصحيح يأتي غالبا على فُعُول نحو جُدْع وجذوع ، ويلزم هذا الوزن في الأجوف اليائسي نحو دِيك ودِيوك ، وقد يجمع على (فعَال) نحو ذئب وذئاب ، كما يلزم في الأجوف الواهي نحو : ريح ورياح ، قال تعالى : (وهو الذي أَرَمَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) ^(٣) ، وقد سمع جمع المفرد الصحيح على فِعْلَة نحو قرد وقردة ، قال تعالى : (قَلَّلْنَا لَهُم كُتُوبًا قِرْدَةً خَاسِئِينَ) ^(٤) .

ويأتي (فعْلان) قياسا مطردا في الأجوف الواهي على وزن (فُعْل) بضم وسكون نحو : عود وعيدان وحوت وحيتان ^(٥) ، كما يطرد في (فُعْل) بضم وفتح للقلّة والكثرة نحو (صرد) ^(٦) و (صردان) ، يقول ابن مالك :

وَقَالِبًا أَغْنَاهُمْ فَعْلَان ٠٠٠ فِي فُعْل كَقَوْلِهِمْ صِرْدَان

كذلك يطرد في الأجوف الواهي المذكور على قياس (فُعْل) بفتح وسكون مثل : تاج وتيجان ، وقد سمع في المونث مثل نار ونيران ، وإن كان المطرد فيه (فُعْل) بضم وسكون مثل دار ودور . وأما (فعْلان) بالضم فيأتي كذلك في الثلاثي على وزن (فُعْل) بفتح وسكون ، نحو رَكِب وركبان ، وظَهَر وظهران ومِطْن ومِطنان ، والظهران الجانبان القصير من الریش ،

(١) معاني القرآن ٣٧٤/١ (٢) البيان في غريب إعراب القرآن ٢٣٣/١
(٣) الفرقان ٤٨ (٤) البقرة ٦٥ (٥) شرح شافيه ابن الحاجب ٩٤/٢
(٦) هو ذكر الأرانسب .

والبطنان الجانب الطويل ، ومنه قولهم : (رِثْرَ مَبْهَمَك بظهران ولا تَرِثْهُ ببطنان)^(١) ، ومن
 "ابن دريد" : البطنان ما غص من الأرض والظهران ما غلظ .

والغالب في (قَمَل) أن يجمع على قُمُول نحو شيخ وشيخ وسهل وسهل ، وقد يأتي
 على فَعَال نحو (سَم) وسهام .

ويأتي فُعْلَان أيضا في جمع (قَمَل) بفتح الفاء والعين وإن كان الغالب جمعه على
 قُمُول ، وقد اجتمعا في قوله تعالى : (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ
 أَوْ يُزَيِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاءً ، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا)^(٢) .

سادسا - المثنى المكسب :

تبين ما سبق أن التثنية الحقيقية أو من باب التغليب تجتمع بين اسمين ، أحدهما
 أو كلاهما معتمد في التثنية ، وقد يكتفى بلفظ المثنى عن شيئين يجامع الاشتراك في المثنى
 دون اللفظ ، من ذلك :

النَّجْدَان : الهدى والضلالة ، قال تعالى : (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)^(٣) الثَّقَلَان :
 الإنسان والجن ، قال تعالى : (مَنفَعٌ لَّكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ)^(٤) ، الْأَصْمَعَان : القلب الذكي
 والرأى الحازم ، وقولهم : إنما المرء بأصغريه يعني قلبه ولسانه ، ومنه قولهم : ما يدرى
 أي طرفيه أطول : نسبة من قبل أبيه ونسبه من قبل أمه^(٥) ، وَالْأَصْرَمَان : الذئب والغراب
 لأنها انقطعا من الناس . وَالْأَبْهَمَان : عند أهل البادية السيل والجمل الباهج ، وعند
 أهل الأمصار السيل والحريق .

وَالْأَزْهَرَان : الشمس والقمر .

وَالرَّاقِدَان : دجلة والفرات .

وَالشَّيْخَان : البخاري ومسلم ، وهما المعنيان في كتاب (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق
 عليه الشيخان) .

(١) فرائد اللغة ص ١٩٤ (٢) الشورى ، الآيات ٤٩ ، ٥٠ (٣) البلد ١٠

(٤) الرحمن ٢١ (٥) المزهر في علوم اللغة ١١٤/٢

والحريميان : نافع وابن كثير •
والنحويان : حمزة والكسائي •
والجديدان : الليل والنهار •
والمعوذتان : سورة الفلق والناس .
والمُعَشَّتان : سورتا الكافرون والإخلاص ، أى أنهما يَرْتَّان من النفاق ، من قولهم
تَشَقَّش المريض إذا برأ ، قال " ابن فارس " : [القاف والشين
كلمات على غير قياس ، فالقشر : القشر ، يقال : تَشَقَّش الشئ إذا تَشَقَّشَره ،
ويقال لسورتي (قل يا أيها الكافرون) ، (قل هو الله أحد) المُعَشَّتان لأنهما
يخرجان قارئيهما مؤثراً بهما من الكفر]^(١)

خاتمة :

تناول البحث موضوع التغليب ، والمشهور أنه فرع من التثنية ، والتثنية فرع عن
الإفراد ، ولكونها فرعاً أعربت بالحروف ـ بالآلف في حالة الرفع ، وبالياء المفتوح ما
قبلها والمكسور ما بعدها ، في حالتى النصب والجر •

وبعض العرب يجعل نون المثنى مفتوحة ، وبعضهم يلزمه الألف ويعربه بالحركات
المقدرة عليها ، وبعضهم يجعله بالآلف دائماً ويعربه بحركات ظاهرة على النون المنونة
كأنه اسم مفرد نحو : عندى كتابانٌ نافعانٌ واشتريت كتاباً نافعاً ، وقرأت نفسى
كتابانِ نافعانِ ، وهذه لغة قليلة جداً^(٢)

ونذهب الدكتور السامرائى إلى أن الزام المثنى الألف كان لغة الكثرة من العرب ،
وكان بعضهم يجعل المثنى بالياء دائماً كما هو الشأن في بعض اللهجات الحديثة ،
ولعل الياء في التثنية ظاهرة من ظواهر الإمالة ، ولما درجت العربية في طريقها
التطوري وأن لها أن تتسجم في لغة هي لغة القرآن الكريم والحديث الشريف اختص
استعمال المثنى بالآلف في حالة الرفع ، وبالياء في حالتى النصب والجر •

(١) معجم مقاييس اللغة ١٠/٥ (٢) النحو اللغوى ١٢٤/١ هامش ٢

والمثنى مجاوز للواحد ، داخل في حيز الجمع ، وينعكس ذلك في أساليب اللفظة ، فاللفظ قد يأتي جمعا والمراد به مثنى ، وقد يأتي ضمير الجمع عائدا على الاثنين ، وقد تأتي الكلمة لفظها مفرد ومعناها مثنى مثل (كلا وكلتا) ، وقد أجزى في ضميرها اعتبار المعنى فيثنى ، واعتبار اللفظ فيفرد ، غير أن اعتبار اللفظ أكثر ، وه جاء القرآن الكريم قال تعالى : (كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا) .

ولما كان لكلا وكلتا حظ في الأفراد ، وحظ في الثنية ، أجزيا في إعرابهما مجرى المفرد تارة ، ومجرى المثنى تارة أخرى ، فتعرب إعراب المفرد إذا أُضيفت إلى الظاهر لأنه أصل والإعراب بالحركات أصل ، وتعرب إعراب المثنى إذا أُضيفت إلى الضمير ، لأن الإضافة إلى الضمير فرع الإضافة إلى الظاهر ، والإعراب بالحروف ، فرع الإعراب بالحركات فجعل الأصل مع الأصل والفرع مع الفرع للنسابة .

والتغليب في الثنية ترجيح أحد المتعاطفين إجراء للمختلفين مجرى المتفقين ، واللفظ قد يغلب لخبته أو شهرته أو لقوته ، وقد شاع تغليب المذكر على المؤنث ، وقيل العكس .

وقد يأتي اللفظ مثنى ومعناه مفرد لغرض بلاغي مثل : حَمْدَانِ وَمَدْرَانِ والعلمين وغيرها .

وقد يكنى عن المثنى بجامع الاشتراك في الوصف مثل : المعوذتين لسورتي الفلق والناس ، والمفتشقتين لسورتي الكافرون والاحلاص .

وظاهرة الثنية وجدت في اللغات السامية واللغة اليونانية وفي السنسكريتية ، لكنها لم تبرز بجلال ووضوح إلا في العربية من اللغات السامية .

وربما كان اهتمام العرب بالمثنى أنه داخل في حيز الجمع فأرادوا تمييز معالمة خشية أن يَفْتَرُوا بالجمع عنه كما حدث في الضمير (نحن) .

ولعل إثارة هذا الموضوع تكون فاتحة لمحاولات تستخلص نتائج جديدة بالنسبة لتكون الظواهر اللغوية وسط حِصَم اللغات العربية والسامية .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

مراجع البحث :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - أساس البلاغة - للزمخشري - بيروت - ١٩٦٥ .
- ٣ - الأشباه والنظائر في النحو - جلال الدين السيوطي - مكتبة الكليات الأزهرية .
- ٤ - البحر المحيط - لأبي حيان - مكتبة ومطابع الناصر الحديثية (الرياض) .
- ٥ - البرهان في علوم القرآن - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - دار المعارف بيروت .
- ٦ - البيان في غريب إعراب القرآن - لأبي البركات بن الأنباري - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - ١٩٦٩ .
- ٧ - حجة القراءات - لأبي زهرة عبد الرحمن بن محمد بن زبلة - تحقيق سعيد الأفغاني ط ٣ - مؤسسة الرسالة .
- ٨ - حاشية الصبان على شرح الأسموني - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي .
- ٩ - شرف القوائد العشر - التبريزي .
- ١٠ - شرف الفضل - لابن يعيش - عالم الكتب - بيروت - مكتبة المتنبي - القاهرة .
- ١١ - القروق في اللغة - لأبي هلال العسكري - دار الآفاق الجديدة - بيروت .
- ١٢ - فقه اللغة وأسرار العربية - لأبي منصور الثعالبي .
- ١٣ - فقه اللغة المقارن - د . إبراهيم السامرائي - دار العلم للملايين - بيروت .
- ١٤ - كتاب الكافية في النحو - لابن الحاجب - دار الكتب العلمية (بيروت) .
- ١٥ - كتاب " سيبويه " - لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر - تحقيق وشرح عبد السلام هارون - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٧ .
- ١٦ - ليس في كلام العرب - لأبي الحسين بن أحمد بن خالويه - تحقيق أحمد عبد الففور عطار - دار العلم للملايين - بيروت .
- ١٧ - المزهر في علوم اللغة - جلال الدين السيوطي - مطبعة محمد صبيح .
- ١٨ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي .
- ١٩ - معجم البلدان - ياقوت الحموي .
- ٢٠ - معجم مقاييس اللغة - لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - تحقيق عبد السلام هارون - دار الكتب العلمية - إيران .
- ٢١ - المقتضب - لأبي العباس محمد بن يزيد البرد - تحقيق - محمد عبد الخالق عضيمة - القاهرة ١٣٨٨ هـ .
- ٢٣ - النحو الوافي - عباس حسن - دار المعرفة بصرط (٥) .
- ٢٤ - هج الهوامع شرح جمع الجوامع - جلال الدين السيوطي - دار المعرفة بيروت .